عرب تهامة فوقعت بينه وبينهم عدة معارك حتى دبر الملك الاشرف حيلة للتخلص منهم أشبه ماتكون بتلك التي دبرها محمد علي للتخلص من المماليك ، فقد استدعى رؤساء القبائل سنة ٨٤٤ الى وليمة كبيرة فلما أخذوا مجالسهم ليأكلوا انهال عليهم جنده بالسيوف فضرب في السماط من رؤسائهم نحو أربعين شيخا ثم توفي الاشرف سنة ٨٤٥ فخلفه أخوه المظفر يوسف بن المنصور ، وقد استفحل شأن العبيد وأصبحوا يتحكمون في الدولة فولّوا الحكم شخصا يدعى محمد بن اسماعيل بن عثمان من آل رسول وقوي شأنه بهم حتى استدعى الملك المظفر عامله الامير علي بن طاهر للتخلص من منافسه فاستطاع القبض عليه وأودعه سجن تعز . وما زال العبيد في تمرداتهم ومالوا الى نهب أموال زبيد وغلاتها ثم انحدروا الى (حيس) وكان فيها أحد أمراء آل رسول مسجونا وهو أحمد بن العباس فأفرجوا عنه وولوه الملك فعاد الى زبيد وأمر العبيد بنهب المدينة وازداد الهرج والفوضى حتى لقب بعد ذلك بالامير الجائر ، ثم مال عنه الجند الى شخص آخر من آل رسول هو المسعود الذي ختمت به الدولة الرسولية وولوه الحكم سنة ٨٤٧ والدولة الرسولية تحتضر فلم يمكث في الملك سوى سنوات قليلة حتى قام عمال الدولة الرسولية بنو طاهر بالانتفاضة على سادتهم وتمكنوا من القضاء على الدولة الرسولية سنة ٨٥٨ .

وكما كان انقضاء الدولة الايوبية على أيدي عمالهم بني رسول كذلك ماتت هذه الدولة على أيدي عمالهم بني طاهر ومن المصادفات العجيبة أن آخر ملك في الدولة الرسولية يسمى المسعود وكذلك آخر ملك من ملوك الدولة الأيوبية يسمى المسعود أيضا .. فلست أدري اذا كان هذا السعد هو نحس عليهم وسعد لخصومهم أم الأمر بالعكس .

* * *